

(دمعة على النيل)

قصيدة نثر

من وقت لآخر

وخاصة في الأعياد وشم النسيم

كنت أذهب مع أبي وأمي إلى شط ال

وهناك .. نختار مكانا معشبا لنجلس فوقه

وبعد فترة ..

تقدم أُمى لنا الطعام الذى أعدته

وبعض الحلوى

كنت أستمتع كثيرا بتلك الجلسة

التي نتحدث فيها ، ونأكل ،

ونحن ننظر إلى امتداد مياه النيل

التي كانت تتلون مرة بالزرقة ،

وأخرى بالمخضرة ،

وأحيانا تكون بنية بلون الطمى

لكنها فى كل الأحوال

كانت تبعث فى روجى

وانا بين أمى وأبى

سعادة لنا حدود لها!

مررت الأعوام

وكما يقولون:

لا يبقى شيء على حاله

ماتت أمى

وبعدها بعام واحد

مات أبى

ووجدتني أذهب الى نفس المكان

هناك على شط النيل

ولما أغادره

حتى تذرّف عيناى بعض الدموع

عندها أحس ان بعض الألم قد خف

وأن لوعة المراق .. قليلا قد تراجعت

\*\*

ثم مرت أعوام كثيرة

أبعدتني عن عالم الطفولة المرهيف

لكنني لم أتخلف أبدا

عن عادة جلوسى على النيل

المفارق الوحيد ..

أننى أصبحت أجلس فى أرقى الكافتيريات

ومنها أراقب البواخر السياحية

التي تنساب على صفحته الملمساء

وحين يحل المساء

أستمع برؤية الأضواء

المتدلئة على المضافة الأخرى

ولمعان أضوائها على مر آتة السوداء ..

\*\*

وعلى الرغم من قراءتي حول منابع النيل

وحقائق المتضاريس المافريقية ،

والتي تؤكد أنه يأتي من تجمع الأمطار

المتساقطة بغزارة على هضبة الحبشة

ثم يمر بالسودان

فإن كلمة أبي الحبيب

ما زالت تتردد في أعماقي :

النيل ينبع من الجنة

وقد وهبه الله لأرض مصر الطيبة

\*\*

وذاث صباح حزين

كنت أمر على بائع المجراند

فوجدت عناوينها الحمراء

تتحدث كلها عن سد ضخم

تقيمه الحبشة على أرضها

لتستفيد منه في إنتاج الكهرباء

وهذا يعني ..

أن جزءا كبيرا من مياه النيل

سوف تنقطع عن المجيء إلى مصر

وعلى الفور

اغرورقت عيناى بالدموع

وسقطت منها دمتان ساختان

إحداهما على أبى وأمى ،

والثانية على النيل !

---